مجلة كلية
الدعوة الإسلامية

العدد
السابع عشر
2000

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة - تصدر سنويا

1430 من ميلاد الرسول ﷺ الموافق 2000 افرنجي

أسلوب الشرط

في ضوء نظرية العامل ونظرية تشومسكي

الدكتور صالح سليم عبد القادر الفاخري
كلية الآداب / جامعة الفاتح

1 ـ تعريفه:

أسلوب الشرط نمط من التعبير يقوم على تعليق أمر بأمر، ينزّل الأول منهما منزلة السبب، وينزّل الثاني منزلة المسبّب، فيتحقق الثاني إذا تحقق الأول، ويمتنع الثاني إذا امتنع الأول[1] نحو قول زهير[2].

ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

فعدم المصانعة في أمور كثيرة سبب والتضريس بالأنياب والإيطاء بالمنسم

(1) ينظر د. مهدي المخزومي في النحو العربي نقد وتوجيه ص284.

(2) الديوان شرح ثعلب ص30.

مسبب، يتحقق التضريس بالأنياب والإيطاء بالمنسم إن لم تتحقق المصانعة، ويمتنعان إن امتنعت المصانعة. وقول المتنبي[3].

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمرّ به الوحول

اعتياد الفتى خوض المنايا سبب، وهوان الوحول ممّا يمرّ به مسبب، يتحقق هوان الوحول إذا تحقق اعتياد خوض المنايا، ويمتنع الهوان إذا امتنع اعتياد خوض المنايا.

وقد اختلف اللغويون في حقيقته، فذهب جمهورهم إلى أنه مكوّن من جملة واحدة «نحو المبتدأ والخبر، فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر، كذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء»[4]. هذا هو القدر الذي اتفقوا عليه، ثم اختلفوا في ما عداه، فذهب بعضهم إلى أن هذه الجملة جنس قائم في الجمل برأسه، وذلك استناداً إلى أن الجملة عندهم «أربعة أضرب، فعلية واسمية وشرطية وظرفية وذلك نحو: (زيد ذهب أخوه، وعمرو أبوه منطلق، وبكر إن تعطه يشكرك، وخالد في الدار)[5] فإن تعطه يشكرك عند هؤلاء جملة شرطية، تعد قسيماً للجملة الفعلية (ذهب أخوه) والاسمية (أبوه منطلق) والظرفية (خالد في الدار)، ذلك أنها «وإن كانت من أنواع الجملة الفعلية، وكان الأصل في الجملة الفعلية أن يستقل الفعل بفاعله، نحو قام زيد، إلا أنه لما دخل ههنا حرف الشرط، ربط كلاًّ من جملة الشرط والجزاء بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة[6].

وذهب ابن هشام والسيوطي ومن يرى رأيهما أن أسلوب الشرط مكون من جملتين الأولى جملة الشرط والثانية جملة الجواب[7].

وهذا الخلاف الواقع بين اللغويين مترتب على خلاف بينهم في مفهوم

---

(3) الديوان ص203.

(4) شرح المفصل ح/ 1 ص85 والنص لابن يعيش.

(5) السابق ح/ 1 ص88 والنص للزمخشري.

(6) السابق والصفحة.

(7) مغني اللبيب ص490 والهمع ح/ 4 ص322.

الجملة والعلاقة بينها وبين الكلام، وهو أمر لا بد من الوقوف عنده حتى نتمكن من ترجيح أحد الرأيين. لم يضع المتقدمون من علماء العربية تعريفاً للجملة، وهذا ما نلاحظه عند سيبويه ت180هـ ومن جاء بعده حتى زمن المبرد ت285هـ، بل إن سيبويه لم ترد في كتابه مصطلحاً، وإن وردت في عدة مواضع منه بمعناها اللغوي[8].

غير أن هذا لم يمنع ابن جني ت/392هـ من أن يستنبط تعريفاً للجملة والكلام عند سيبويه، يقول: «قال سيبويه: واعلم أن «قلت» في كلام العرب، إنما وقعت على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً»، ففرق بين الكلام والقول، كما ترى..... ثم قال في التمثيل: «نحو: قلت: زيد منطلق، ألا ترى أنه يحسن أن تقول زيد منطلق»، فتمثيله بهذا يعلم منه أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مستقلاً بمعناه، وأن القول عنده بخلاف ذلك؛ إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدم الفصل بينهما، ولما أراك فيه أن الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها»[9].

وكان المبرّد أول من استخدم الجملة مصطلحاً، وذلك حين يقول: «إنما كان الفاعل رفعاً، لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها، وتجب بها الفائدة للمخاطب»[10].

وهذا الكلام، وإن كان مقبولاً من جهة أنه تعريف للجملة وتحديد لها، فإنه لا يقبل من جهة أخرى، ذلك أن كثيراً من الجمل تتكون من فعل وفاعل ولا تحصل الفائدة منها، مثل جملة الشرط، وجملة القسم، وبعض الجمل التي يكون الفاعل في كل منها نكرة، مثل: جاء رجل، واندلعت حرب، وسقطت طائرة، ونحوها، فهذه جمل ولكن الفائدة لا تحصل منها، فإذا سلمنا جدلاً بأن فائدة حصلت، فإننا لا نسلم بحال أن السكوت يحسن عليها، ومثل هذه الجمل التي يكون فيها الفاعل لا يمكن أن يقوم بالفعل أو يقوم به مثل: طارت السمكة،

---

(8) ينظر على سبيل المثال ح/3 ص119 وفيها يقول «جملة هذا الباب أن الزمان...» إلخ.

(9) ابن جني الخصائص ح/1 ص18، 19.

(10) المبرد المقتضب ح/1 ص8.

وسبحت الدجاجة، وتكلمت الشاة. . . إلخ فهذه جمل تكون كل منها من فعل وفاعل، ولكن الفائدة لا تحصل منها لاستحالة قيام الفاعل بما أسند إليه.

ثم جاء بعد المبرد تلميذه ابن السراج ت319هـ واستعمل مصطلح الجملة المفيدة، فقال: «والجمل المفيدة على ضربين: إما فعل وفاعل، وإما مبتدأ وخبر»[11].

وهذا التعريف على جانب كبير من الأهمية، وذلك لأنه ربط الجملة بفكرة الإسناد، الأمر الذي عول عليه كثير ممن جاء بعده كالرضي وابن هشام وغيرهما.

على أنه بعد ابن السراج يمكننا أن نلاحظ انقسام اللغويين بشأن تعريف الجملة إلى فريقين، فريق يرى أنها ترادف الكلام، وفريق يرى أنها لا ترادفه، وسأعرض هذين الرأيين كما بديا لي.

الرأي الأول: ويمثله الزمخشري ت538هـ في المفصّل وابن يعيش ت643هـ في شرحه للمفصل، يقول الزمخشري: «الكلام هو المركب من كلمتين، أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك وبشْر صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد وانطلق عمرو، ويسمى الجملة»[12] ويقول ابن يعيش: «اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، ويسمى الجملة، نحو: زيد أخوك. . .»[13].

الرأي الثاني: ويمثله ابن جنّي 395هـ والرّضيّ ت686 وابن هشام ت761هـ على خلاف بينهم، فابن جنّي يرى أن «الكلام جنس للجمل، فإذا قال: قام محمد فهو كلام، وإذا قال: قام محمد وأخوك جعفر فهو أيضاً كلام؛ كما كان لمَّا وقع على الجملة الواحدة كلاماً، وإذا قال: قام محمد وأخوك جعفر

---

(11) ابن السراج الأصول في النحو ح/ 1 ص70.

(12) ابن يعيش شرح المفصل ح/ 1 ص18.

(13) السابق ص20.

وفي الدار سعيد، فهو أيضاً كلام، كما كان لمَّا وقع على الجملتين كلاماً. . .[14].

ولعل القارىء العجلان يقول إن هذا الكلام لا يفهم منه أن ابن جني من أنصار التفريق بين الجملة والكلام، أقول إن تمثيله بجمل تامة المعنى يحسن السكوت عليها دون سواها دليل على تفريقه بينهما، فضلاً عن أنه صرح في الصفحة نفسها بأن الكلام «إنما هو جنس للجمل التوَامّ»[15] والجملة التامة هي تامة المعنى، إذ إن في التركيب أو المبنى ليست هناك جمل تامة وأخرى ناقصة، على ما سيأتي في موضع لاحق[16].

أمّا الرّضيّ فإنه يقول: «والفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصليّ سواء أكانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ أو سائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر، وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبّهة والظرف، مع ما أسندت إليه، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس»[17].

وأما ابن هشام فقد تابع الرضيّ في ما ذهب إليه من أن الكلام أتم من الجملة، إذ شرطه الإفادة بخلافها ثم قال: «ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، وجملة الجواب، وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام[18].

وهكذا فإن المتقدمين لا يخرجون عن هذين الرّأيين، أما عند الأوروبيين فإن C.C,Fries يقرر أن للجملة أكثر من مائتي تعريف مختلف بعضها عن بعض، تواجه الباحث الذي يتصدى لبحث تركيب الكلام الإنجليزي[19] ولن نقوم في

---

(14) ابن جني الخصائص ح/ 1 ص26 و27.

(15) السابق ص27.

(16) ينظر ص7 من هذا البحث.

(17) شرح الرضيّ ح/ 1 ص33.

(18) ابن هشام مغني اللبيب ص490.

(19) The structure of English. New York 1962 p 9.

هذا البحث بتتبع جميع تلك التعريفات، ولكن سنقف عند أكثرها شيوعاً وأبعدها أثراً وهي تعريفات جسبرسن وبلومفيلد والتحويليين.

فأما جسبرسن O.Jesperson فيعرفها بأنها: «قول بشري تام ومستقل»[20] ويقصد بالتمام والاستقلال أن تقوم الجملة برأسها وأن تكون قادرة على ذلك، وهو بهذا يتفق مع ما ذهب إليه الفريق الأول من علماء العربية. ويعرّفها بلومفيلد Bloomfield بأنها «شكل لغوي مستقل لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي «في شكل لغوي أكبر منه»[21] ومثل لذلك بما يلي:

How are you? It's a fine day. Are you going to play tennis after noon?

ثم عقب على ذلك بقوله: «إن ما يمكن أن ينشأ من الربط العملي بين هذه الأشكال الثلاثة لا يتحقق في إطار نحوي يدخلها في شكل لغوي أكبر، إن هذا الكلام يتكون من ثلاث جمل»[22].

ويعرف التحويليون الجملة بأنها «مجموعة من العبارات تخلقها ميكانيكية القواعد في النموذج التوليدي»[23].

وهذان التعريفان ـ تعريف بلومفليد وتعريف التحويليين يتفقان مع ما ذهب إليه الفريق الثاني من متقدمي علماء العربية، من أن الجملة لا ترادف الكلام، وإنما هي ما تكوّن من مسند ومسند إليه، حصلت الفائدة بها أو لم تحصل.

وقد عرض اللغوي الألماني هيرينجر Heringer للتعريفات التي تستند إلى فكرة الإسناد بالنقد والتحليل موضحاً أنها «تستبعد الجمل المكوّنة من كلمة واحدة مثل: النار أو تنظر إليها على أن فيها حذفاً، ولكننا لا نستطيع أن نقر أي حذف فيها، لأننا لا نعرف على وجه التحديد ما حذف منها، وفضلاً عن ذلك فإن هذه التعريفات تتجاوز عن أمرين، أحدهما: أن ثمة جملاً تحتوي على

---

(20) The Philosophy of grammar. London 20, 1924, p307.

(21) Language p170.

(22) السابق وكذلك الصفحة.

(23) A dictionary of Linguistics. D. Crystal p313.

مسند إليه ومسند ولكنها ليست تامة، والثاني أن ثمة جملاً لا تحتوي على مسند إليه نحوي، مثل: جملة الأمر: اذهب»[24].

وفي رأيي أن هذا الانتقاد ليس بدقيق، فكلمة النار إذا قصد أنها جزء من جملة تحذير، فهذه لا يفهم معناها إلا بتقدير محذوف (احذر)، وعندها يكون المسند إليه والمسند محذوفين دل عليهما ما بقي من متمّمات الجملة، ذلك أن العربية يتضح المعنى فيها في مثل هذه التراكيب بالحركة الإعرابية وهو أمر لا يكاد يوجد في لغة أخرى.

وأما الجمل التي ليست تامة مع تكونها من مسند ومسند إليه فإن القائلين به لم يشترطوا تمام المعنى وحصول الفائدة منها، ولكن اشترطوا تمام المبنى، فإن حصل مع تمام المبنى تمام للمعنى فذلك جملة وكلام، وإلا فهي جملة وحسب.

وأما جملة الأمر فإن علماء العربية ومن بعدهم أصحاب النحو التحويلي يرون أنها مكونة من مسند هو الفعل ومسند إليه هو الفاعل المحذوف وجوباً في حال المفرد المذكّر المخاطب، وأما في غير ذلك فالمسند إليه موجود مثل: قومي للمفردة المخاطبة، وقوما للمثنى، وقوموا للجمع وقمن لجمع النسوة.

على أن ما ينبغي أن نلفت إليه أن اللغويين المحدثين يفرقون بين الجملة نمطاً، والجملة حدثاً كلامياً «فالجملة بوصفها كلاماً واقعاً تنتمي إلى الكلام الفردي Parole، وبوصفها نمطاً Type يمكن أن يستخدم بنفس التركيب في سياق آخر من متكلم آخر إلى النظام اللغوي Langue أي إننا لا بد أن نفرق بين الجملة في النظام اللغوي، وقول الجملة، أو استخدام الجملة، فالجملة هي القالب المشترك الذي تنتمي إليه كل استعمالات الجملة، والجملة موضوع مجرد، وما يمكن ملاحظته مباشرة هو الكلام، وهذا يعني أن الجملة لا يمكن أن يستدل عليها إلا من خلال الحدث الكلاميّ»[25].

---

(24) مدخل إلى دراسة الجملة العربية د. محمود نخلة ص15.

(25) السابق ص16.

وما يفهم من هذا التعريف أنه يفرق بين الجملة باعتبارها قالباً والكلام باعتباره أداء لذلك القالب، وهو ما يمكن أن يفسر بالقول لا بالكلام، فعند ما نقول إن الجملة ما تكون من مسند ومسند إليه، فهذا قالب تصاغ فيه الجملة، أما إذا أحضرنا هذا المسند والمسند إليه في الذهن، ثم نطقنا بهما فهذا كلام حسب هذا الرأي.

والحق أن الكلام عند علماء العربية مصطلح استخدموه للدلالة على الرموز اللغوية المنطوقة أو المكتوبة بشرط حصول الفائدة التّامّة منها، لهذا نجدهم يعرفون الكلام بأنه «ما دل على معنى يحسن السكوت عليه»[26]. أما الكلام عند الأوروبيين منذ دي سوسير فهو الأداء الفعلي للغة كيفما كان ذلك الأداء حصلت الفائدة منه أو لم تحصل، الأمر الذي دفعهم إلى استخدام مصطلح الجملة في الدلالة على ما أفاد فائدة يحسن السكوت عليها.

ويعرف د. إبراهيم أنيس من لغويّي العربية المحدثين الجملة بأنها «أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»[27]. وهذا التعريف ينسحب على الكلام لا على الجملة فضلاً عن أنه لا يلتفت إلى ما حذف من أجزاء الجملة، وإلا فإن الكلمة ليست لها دلالة تامة.

وقد تردد هذا التعريف في مؤلفات بعض المحدثين ولو بصورة أخرى، ولكنها تصب في قالب الفائدة والتمام[28].

والذي نراه أن الجملة ليست مرادفة للكلام بمفهومه العربي، فالجملة مصطلح بنائيّ شكليّ أي إنه يتعلق بالهيئة والشكل، فلو قلت: طارت السمكة فهذا جملة لاتفاقه مع هيئتها، إذ إنّه تكوّن من مسند ومسند إليه ولكنه ليس كلاماً لعدم حصول الفائدة، أما إذا قلت طارت الحمامة أو الطائرة، فهذه جملة لموافقته شكل الجملة وهو أيضاً كلام لأن الفائدة حصلت منه.

---

(26) أوضح المسالك ح/1 ص11.

(27) من أسرار اللغة ص260، 261.

(28) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه ص33، ووصف اللغة العربية دلاليا ص274 وما بعدها.

فإذا ما نظرنا إلى جملة الشرط من هذا المنظور وجدناها تتكون من مسند ومسند إليه، ولكن الفائدة لم تحصل منها تقول: إن تقم...

إذا قدمت...

من يقم...

ما تقم به.....

متى تقم.....

هذه التراكيب لا شك أنها جمل ولكنها ليست كلاماً لعدم حصول الفائدة، فإذا انضم إليها جواب حصلت الفائدة وعندها يكون كلاماً مكوناً من جملتين:

إن تقم أقم

إذا قمت أقوم

من يقم أقم معه

ما تقم به أقم به

متى تقم أقم

نخلص مما تقدم إلى أن الجملة رمز لغوي يتكون من مسند ومسند إليه حصلت الفائدة منه، مثل: الله ربنا ومحمد رسولنا، وجاء علي، ويسافر خالد، أو لم تحصل، مثل: طارت السيارة، وسبحت الدجاجة، ومتى تقم... والله.... وأما الكلام فهو ما أفاد فائدة يحسن السكوت عليها، وقد يكون جملة كما في (جاء محمد، وقد يكون جملتين كما في المركب الشرطيّ، نحو ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[29] ومركب القسم نحو: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[30].

وعلى ما تقدم فإن أسلوب الشّرط أو المركّب الشّرطيّ مكوّن من جملتين الأولى تسمى جملة الشرط والثانية جملة الجواب أو الجزاء، ثم إن بدئت أي منهما بفعل فهي جملة فعلية وإن بدئت باسم فهي جملة اسمية مثل:

---

(29) سورة البقرة، الآية: 196.

(30) سورة الأنبياء، الآية: 57.

إن تجتهد تنجح. الجملتان فعليتان، إن تجتهد فأنت ناجح. جملة الشرط فعلية وجملة الجواب اسمية. ولا سبيل إلى الإقرار بوجود جملة شرطية قائمة برأسها لأن حد الجملة الذي ارتضيناه لا ينسحب عليها، أما إذا وجد تركيب مثل: خالد إن تكرمه يشكرك فهذا من قبيل الجملة الاسمية، لأنه مُصدَّر بمبتدأ وحاصل مجموع الجملتين (جملة الشرط والجواب) خبر للمبتدأ على أصح الأقوال.

وأما النوع الآخر من أنواع الجملة وهو الجملة الظرفية فعندي أنها ترجع إلى الجملة الاسمية لأننا نعربها على المشهور على النحو التالي: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[31].

الهمزة حرف استفهام، وفي الله جار ومجرور متعلق خبر مقدم، وشك مبتدأ مؤخر.

وبهذا تكون الجملة في العربية بالنظر إلى ما تتصدر به نوعين:

أ ـ جملة اسمية وهي المصدرة باسم تحقيقاً أو تقديراً كيفما كان ذلك الاسم نحو: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[32] فهذه الجملة مصدرة باسم تقديراً وذلك بسبب تأخّر كلمة (الأمر) التي هي مبتدأ، وحق المبتدأ التقديم ونحو: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[33] الجملة مصدرة باسم تقديراً كذلك، وذلك بسبب تأخر المبتدأ (عليم) لأنه نكرة ونحو: «ألا ليت الشباب يعود يوماً» جملة اسمية لأنها مصدرة باسم تقديراً، وذلك بسبب تقدم حرف الاستفتاح والحرف الناسخ، ونحو: «هل أنت مسافر؟ وأغداً أخوك عائد؟».

أما المُصدَّرة باسم تحقيقاً فمن أمثلتها: «الله ربنا، والقرآن كتابنا، ومحمد رسولنا، والكعبة قبلتنا».

---

(31) سورة إبراهيم، الآية: 13.

(32) سورة الروم، الآية: 3.

(33) سورة يوسف، الآية: 76.

ب ـ جملة فعلية: وهي المصدّرة بفعل، وإن تقدم عليه بعض معمولاته، نحو قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[34] ونحو: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[35] ونحو: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾[36] ونحو ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾[37] ونحو ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[38].

ومن هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[39] وقوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[40] في الآية الأولى حرف النداء وقع موقع الفعل المحذوف أنادي أو أدعو ويحيى مفعول به، والثانية حل حرف القسم محل جملة القسم المحذوفة (أقسم)، ومثل ذلك جملة الشرط المصدّرة بمعمول لفعل الشرط كما في قول زهير:

رأيت المنايا خبْط عشواء من تصب تُمِتْهُ ومن تخطىء يعمَّر فيهرم

فمن مفعول به في مركب الشرط (من تصب ومن تخطىء).

2 ـ المحل الإعرابي للمركب الشرطي:

يقسم النحويون الجمل من حيث المحل الإعرابي وعدمه إلى قسمين: قسم له محل من الإعراب وقسم ليس له محل من الإعراب.

فأما القسم الذي له محل من الإعراب فهو الذي يقع موقع المفرد، وذلك بأن يقع مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو نائباً عن فاعل أو مفعولاً به أو حالاً.... إلخ، يقول أبو حيان «أصل الجملة ألا يكون لها موضع من الإعراب، وإذا كان لها موضع من الإعراب قدرت بالمفرد»[41]، وهي تأخذ إعرابه تقديراً لأنها حلت

---

(34) سورة الرحمن، الآية: 11.

(35) سورة البقرة، الآية: 86.

(36) سورة القمر، الآية: 7.

(37) سورة الإنسان، الآية: 1.

(38) سورة الغاشية، الآية: 1.

(39) سورة مريم، الآية: 11.

(40) سورة العاديات، الآية: 1.

(41) الأشباه والنظائر ح/ 2 ص17 وشرح الكافية ح/ 2 ص39.

محله وقامت مقامه، مثل (جاء خالد يضحك). فجملة يضحك تؤوَّل بمفرد هو (ضاحكاً) وإعرابه حال، فالجملة في محل نصب حال، أما الجملة (جاء خالد) فلا تؤول بمفرد ولهذا فهي لا محل لها من الإعراب.

وأما القسم الثاني فهو الذي ليس له محل من الإعراب وهو الذي لا يؤول بمفرد (أي هو الذي تكون فيه الجملة على أصلها).

ومعنى أنه لا محل لها من الإعراب أنها لا تخضع لعوامل الإعراب وذلك لأنها لا تحل محل المفرد ولا تقوم مقامه.

وقد اختلفوا في عدد كل قسم من هذين القسمين فذهب ابن هشام[42] ومن يرى رأيه إلى أن عدد الجمل التي لها محل من الإعراب يبلغ تسعاً وعدد الجمل التي ليس لها محل من الإعراب يبلغ سبعاً، وذهب أبو حيان[43] إلى أن الجمل التي لها محل من الإعراب ثلاث وثلاثون، وأن الجمل التي ليس لها محل من الإعراب اثنتا عشرة جملة.

وذهب بعض الباحثين المحدثين[44] إلى أن عدد الجمل في كل من القسمين عشر جمل.

ولا يعنينا من أمر هذا الاختلاف إلا أنهم جعلوا بعض جمل الشرط وجوابه لها محل من الإعراب، وبعضها ليس لها محل من الإعراب، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الجمل التي لها محل من الإعراب وهي:

1 ـ الجملة الواقعة جواباً لشرط جازم مقترنة بالفاء أو إذا، وهي الجملة التي تكون جواباً لجملة شرط أداتها إن وإذما وما ومن ومهما وكيفما وأي. غير المصدرة بمفرد يجزم لفظاً وهو المضارع المجرد من لن وقد وما والسين وسوف، أو يجزم محلاً كالفعل الماضي المتصرف المجرد من قد وما

---

(42) ينظر مغني اللبيب ص477.

(43) ينظر الأشباه والنظائر 2/ 18 ـ 21.

(44) ينظر إعراب الجمل وأشباه الجمل ص36 وص138.

ولا، ومحل هذه الجملة الجزم، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[45].

وقول جرير[46]:

فإلا تعلّق من قريش بذمة فليس على أسياف قيس معول

وقول جميل[47]:

فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها فذلك في عيش الحياة رشيد

وقول زهير[48]:

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه أباء آبائهم قبل

2 ـ الجملة الواقعة مضافاً إلى اسم شرط ظرفي (إذا، لما، متى، أيان، أنى، حيثما، أينما) نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[49] ومحل هذه الجملة الجر وتؤول بمصدر.

ثانياً: الجمل التي ليس لها محل من الإعراب:

1 ـ جملة الشرط غير الظرفي، وهي كل جملة جاءت تالية لأداة شرط غير ظرفية (لو، لولا، لوما، كيفما، إن، إذما، من، مهما، كيف، أي) نحو قول كثير عزة[50].

لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزّة ركّعاً وسجودا

جملة يسمعون ليس لها محل من الإعراب.

2 ـ جملة جواب الشرط غير الجازم، وهي الجملة التي تكون جواباً لإحدى

---

(45) سورة الروم، الآية: 35.

(46) الديوان ص457.

(47) الديوان ص66.

(48) شرح الديوان ص115.

(49) سورة القيامة، الآيات: 7 ـ 10.

(50) شرح ابن عقيل ح/ 2 ص356.

أدوات الشرط غير الجازم (لو، لوما، إذا، لما، كيف) نحو[51].

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللَّقيطة من ذهل بن شيبانا

جملة لم تستبح إبلي لا محل لها من الإعراب.

3 ـ جملة جواب الشرط الجازم غير المقترن بالفاء أو إذا، وهي الجملة التي تكون جواباً لإحدى أدوات الشرط الجازم ولم تقترن بالفاء الرابطة للجواب أو إذا الفجائية نحو[52]:

وإنك إذا ما تأتي ما أنت آمر به تلف من إياه تأمر آتيا

وفي تصوري أن هذا الموضوع في حاجة لإعادة نظر؛ وذلك أن المحل الإعرابي حسب الجمهور يكون للمفردات، لا للجمل.

وما علمنا أن أحداً من النحويين منذ أن بدأوا يهتمون بالحدود والتعريفات قد أخرج جملة الشرط أو جملة الجواب من عداد الجمل، مع أنهم اختلفوا اختلافاً بيّنا في حد الجملة والفرق بينها وبين الكلام، على ما رأينا في موضع سابق؛ ولهذا فإن جملة الشرط وجملة الجواب الأصل فيهما أن لا يكون لأي منهما محل من الإعراب، إلا إذا حدث ما ينقض الأصل، وهذا يكون في موضع واحد فقط، وهو أن تضاف جملة الشرط إلى أداة شرط ظرفية، وعندها يكون لها محل من الإعراب، أما ما عدا ذلك فإن جملة الشرط لا محل لها من الإعراب، وأما جملة الجواب فلا محل لها من الإعراب مطلقاً «وذلك أن كل جملة لا تقع موقع المفرد فلا محل لها، وجمل الجواب لا تقع موقع المفرد، فلا يكون لها محل»[53].

وقد حاول بعض الباحثين توهين هذا الرأي بحجة أنه بني على علة واهية «لا أساس لها» «فالجملة هذه وقعت في موقع الفعل المضارع الذي يطلبه الشرط الجازم والفعل مفرد»[54]، والأمر ليس كذلك، فالجملة التي جعل لها محل من

---

(51) شرح كتاب الحماسة 2/ 77.

(52) شرح ابن عقيل 2/ 290 وحاشية الصبان على شرح الأشموني 4/ 21.

(53) المنصف ص132 وحاشية الأمير على مغني اللبيب 2/ 68.

(54) إعراب الجمل وأشباه الجمل ص239.

الإعراب لم تقع موقع المفرد، وإنما وقعت موقع الجملة، فعندما نقول: إن تجتهد تنجح، أو من يجتهد ينجح. فإن الأثر الذي أحدثته الأداة كان في الفعل، ولم يكن في الجملة، بدليل أنه لو ظهر الفاعل لم تتغير حركة الفعل ولا حركة الفاعل. مثل: ما تكتب يقرأه علي. وهذا النوع من جمل الجواب لا محل له من الإعراب، فلماذا يكون له محل إذا صار مثلاً:

إن تجتهد فسوف تنجح

ومن يجتهد فقد ينجح

وإن تجتهد فأنت ناجح

ومن يجتهد فهو ناجح... إلخ

جمل الجواب في هذه التراكيب لا محل لها من الإعراب لأنها لم تحل محل الفعل المضارع فحسب، وإنما حلت محل الفعل وفاعله، وأثر الجزم ـ كما رأينا ـ ظهر فقط على الفعل ولم يظهر على غيره.

وما جاء به ذلك الباحث من أدلة على صحة مذهبه من أن من القراء من قرأ ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[55] بجزم يذرهم عطفاً على محل ﴿لا هادي له﴾[56]. أقول بأن ما جاء به لا ينهض دليلاً إذ إن «لا هادي له» حلت محل جملة الجواب مجتمعة، والجملة حدها الأدنى مسند ومسند إليه ولم تحل محل فعل، والفعل «يذر» جزم لأنه تحققت فيه شروط الجزم.

وهكذا فإن جملة الشرط يكون لها محل من الإعراب إذا أضيفت إلى اسم شرط ظرفي، أما فيما عدا ذلك فليس لها محل من الإعراب، وأما جملة الجواب فليس لها محل من الإعراب كيفما كانت، ويكون للجملتين مجتمعتين محل من الإعراب إذا وقع اسم الشرط الرابط لهما في محل رفع مبتدأ.

3 ـ تحليل أسلوب الشرط:

يقوم هذا التحليل على الكشف عن العلاقات التي تربط بين أجزاء الشرط

---

(55) سورة الأعراف، الآية: 185.

(56) ينظر إعراب الجمل وأشباه الجمل ص239.

وذلك استناداً إلى ما تحقق لدينا في موضع سابق من أن أسلوب الشرط يتكون من جملتين لا من جملة واحدة. وقبل أن نشرع في التحليل نود الإشارة إلى مسألة على جانب كبير من الأهمية، وهي أن هذا الأسلوب تستعمل فيه روابط تقوم بوظائف أخرى في اللغة نحو من وما وأي، تستخدم فضلاً عن الشرط ـ للاستفهام وتستعمل أسماء موصولة، ونحو إذا التي تستعمل للظرفية، ونحو أين ومتى اللتين تستخدمان للاستفهام... إلخ، وفي هذا النوع من الاستعمال لا نكوِّن إلا جملة واحدة نحو: من هذا؟ ومن قابلت؟ وما كتبت؟ وما هذا؟ وأين علي؟ ومتى تسافر؟ ونحو: أعجبني ما فعلت. وأكرمت من أرسلت، أي إنها استعملت في تركيب بسيط، الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأن أسلوب الشرط جملتاه تعودان إلى جملة نواة، إما أن تكون جملة استفهامية، أو جملة إخبارية مشتملة على اسم موصول وصلة، أو جملة إخبارية متضمنة ظرفاً مثل: لما وإذا وغيرها من الظروف المستعملة في الشرط، يؤيد هذا ما نص عليه كثير من اللغويين من أن إذا ولمَّا وغيرهما من أدوات الشرط الظرفية في نحو إذا اجتهدت تنجح، ولمَّا زارني أكرمته، تكون معمولة للجواب وذلك كما سيتضح فيما بعد.

وأسلوب الشرط بحسب أدواته ينقسم إلى قسمين:

ـ أسلوب شرط ظرفي وأسلوب شرط غير ظرفي.

1 ـ أسلوب الشرط الظرفي:

وهو ما كانت أداته ظرفاً زمانياً أو مكانياً، وأشهر هذه الأدوات أو الروابط إذا ومتى وإيان للزمان، وحيثما وأينما وأنى للمكان، ونعرض فيما يلي أدوات الشرط الظرفية، وأقوال العلماء في ناصب كل منها وما نختاره من تلك الأقوال.

إذا: وهي ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط غالباً[57]، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، وإذا دخلت على اسم كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[58] فهو فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور.

---

(57) ينظر مغني اللبيب ص127.

(58) سورة الانشقاق، الآية: 1.

وقد اختلف في ناصبها، فذهب أكثر النحويين إلى أنه الجواب[59]، وذهب جماعة من النحويين وصفهم ابن هشام بالمحققين إلى أن الناصب هو شرطها[60]، وهو ما اختاره أبو حيان في البحر يقول: «والذي نختاره أن الجملة بعدها التي تليها هي الناصبة لإذا لأنها شرطية وأن ما بعدها ليس في موضع خفض بالإضافة، فحكمها حكم الظروف التي يجازى بها»[61]، وفي هذا إشارة إلى أن الظروف التي تعمل الجزم لا تضاف إليها الجمل التي بعدها وهي: متى وأيان وحيثما وأينما، ولم يكتف أبو حيان بهذا بل ذهب إلى تضعيف رأي الجمهور بأن الجواب يقترن به ما لا يعمل ما بعده فيما قبله كالفاء الرابطة، وإذا الفجائية، وإن وما النافيتين[62].

وأما الذين ذهبوا إلى أن الناصب لإذا هو الجواب، فإنهم يرون أن الفاء الرابطة للجواب لا تمنع من عمل الجواب في إذا، يقول العكبري في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[63] «إذا ظرف، والعامل فيها ﴿فاذكروا﴾ ولا تمنع الفاء هنا من عمل ما بعدها فيما قبلها لأنه شرط»[64]، ومعنى هذا أن الشرط لا يقع تحت طائلة المنع في هذه المسألة، وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[65] «العامل في ﴿إذا﴾ معنى الجواب، أي إذا جاءك سلم عليهم»[66]. ويقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ﴾[67] «إذا منصوبة بسبح»[68]. ويقول

---

(59) ينظر المغني ص130، 131 والبحر ح/ 1 ص63 و64.

(60) ينظر مغني اللبيب ص130، 131.

(61) ينظر البحر ح/ 1 ص64.

(62) ينظر البحر ح/ 6 ص312.

(63) سورة البقرة، الآية: 198.

(64) التبيان ح/ 1 ص162.

(65) سورة الأنعام، الآية: 54.

(66) التبيان ح/ 1 ص499.

(67) سورة الفتح، الآيات: 1 ـ 3.

(68) الكشاف ح/ 2 ص239.

الرضيّ في هذه الآية: «الفاء الزّائدة زيدت ليكون الكلام على صورة الشرط والجزاء، وإنما حكمنا بزيادتها لأن فائدتها التعقيب كما ذكرنا أن السببية لا تخلو من معنى التعقيب ﴿وإذا جاء﴾ ظرف التسبيح فلا يكون التسبيح عقب المجيء، بل وقت المجيء»[69].

وهكذا يسيرون في معالجة هذا الموضوع، فإن وجدوا فعلاً في الجواب نسبوا العمل في الظرف ﴿إذا﴾ له، وإلاّ التمسوه في ما يدل عليه الكلام، من ذلك يقول العكبري في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[70] «العامل في ﴿إذا﴾ معنى إلى ربك يومئذ المساق، أي إذا بلغت الحلقوم رفعت إلى الله تعالى»[71].

ويقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾[72] «العامل في ﴿إذا﴾ ما دل عليه الجواب أي لم يرد أو وقع»[73].

وما نراه أن العامل في إذا هو الفعل الذي يكون في جملة الجواب أو شبهه، أو ما يمكن أن يستفاد من الكلام كما مر في الأمثلة السابقة، ذلك أن (إذا) باتفاق النحويين ظرف، والجملة بعدها مضافة إليها عند أكثرهم، ولهذا لا يجوز بحال أن يكون ما بعدها مضافاً إليها ثم يكون فعله عاملاً فيها، وحتى إن قبلنا هذا فإن المعنى لا يستقيم، فإن قلت إذا غربت الشمس أفطر الصائم، كان المعنى: يفطر الصائم إذا غربت الشمس، أي حين تغرب، ولا يمكن أن يكون المعنى «تغرب الشمس حين يفطر الصائم» لأن المقصود هو معرفة الوقت الذي يفطر فيه الصائم، وليس الوقت الذي تغرب فيه الشمس. ولو عدنا إلى الأمثلة السابقة وجدنا أن أنسب تحليل لها يراعى فيه المعنى يكون على هذا النحو.

---

(69) شرح الكافية ج2 ص104.

(70) سورة القيامة، الآيات: 26 ـ 30.

(71) التبيان ح/ 2 ص1255.

(72) سورة الرعد، الآية: 12.

(73) التبيان ح/ 2 ص754.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ المعنى «اذكروا الله حين تفيضون من عرفات» ولو قدّرنا العامل في ﴿إذا﴾ فعل الشرط لكان التحليل على هذا النحو «تفيضون من عرفات حين تذكرون الله عند المشعر الحرام» وفي هذا بعد عن المقصود، فإن قال قائل لماذا هذا التأخير، للظرف؟ نقول إن العوامل الأصل فيها التقديم، والمعمولات الأصل فيها التأخير فإذا قدرت عاملاً في معمول متقدم على ذلك العامل فلا بد أن يكون تأخيره متخيلاً نحو: محمداً أكرم عليٌّ، أي أكرم عليٌّ محمداً، وصباحاً جاء خالد، أي جاء خالد صباحاً، ويوم الجمعة سافر طارق، أي سافر طارق يوم الجمعة.

* لمَّا: لم يتفق النحويون على حقيقتها فضلاً عن العامل فيها، فسيبويه وأبو حيان وابن عصفور يرون أنها حرف وجوب لوجوب، يقول سيبويه: «فهي حرف للأمر الذي وقع لوقوع غيره، وإنما تجيء بمنزلة ﴿لو﴾»[74].

ويقول أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾[75] «لمَّا ظلموا إشعار بعلة الهلاك، وهي الظلم، وبهذا استدل الأستاذ أبو الحسن ابن عصفور على حرفية ﴿لمَّا﴾ وأنها ليست بمعنى حين؛ لأن الظرف لا دلالة فيه على العلة»[76]، وقال في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[77]، «وإذا كانت حرفاً وهو الصحيح فجوابه الفجائية، وإذا كانت ظرفاً فيحتاج إلى عامل فيها فيعسر لأنه لا يمكن أن يعمل ما بعد ﴿إذا﴾ الفجائية فيما قبلها، ولا يمكن أن يعمل في ﴿لمَّا﴾ الفعل الذي يليها، لأن لمَّا هي مضافة إلى الجملة بعدها... والذي نختاره مذهب سيبويه في ﴿لمَّا﴾ وأنها حرف، ونختار أن إذا الفجائية ظرف مكان»[78] ويرى ابن جني أنها ظرف «ذلك

(74) الكتاب ح/ 2 ص312.
(75) سورة الكهف، الآية: 59.
(76) البحر ح/ 6 ص140.
(77) سورة النساء، الآية: 76.
(78) البحر ح/ 3 ص297.

أن لمَّا من قولك: لمَّا أطاعني أحسنت إليه، وإنما هي منصوبة بالإحسان، وظرف له كقولك أحسنت إليه وقت طاعته، وأنت لم تحسن إليه لأول وقت الطاعة، وإنما كان الإحسان في ثاني ذلك أو ما يليه»[79].

وقد رأى هذا الرأي قبله ابن السراج، وأبو علي الفارسي وما نختاره من هذين الرأيين أنها ظرف، وما حاول أصحاب الرأي الأول تضعيفه به ليس بسديد، فإن قلت: لما جاءني أكرمته، معناه: أكرمته حين جاءني، وكذلك الحال في بقية التراكيب التي تكون على هذا النحو[80].

وأما العامل فيها، فإن الذين قالوا بظرفيتها يرون أن العامل فيها هو الفعل أو شبهه الذي يكون في الجواب، والجملة بعدها مضافة إليه[81].

*** متى وأيان وأينما وحيثما وأنّى:**

لم يرد في القرآن الكريم من هذه الظروف ما يتضمن معنى الشرط إلا ﴿أينما﴾ في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾[82] و﴿حيثما﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[83] «وحيث ظرف لوَلُّوا، وإن جعلتها شرطاً انتصب بـ﴿كنتم﴾ لأنه مجزوم بها وهي منصوبة به»[84]، وأما أيّان ومتى وأنّى فقد وردت للاستفهام، ولما كانت تلك الظروف تعمل الجزم في أفعال الشرط فإن أكثر النحويين يذهبون إلى أن العامل فيها هو فعل الشرط، والجملة لا محل لها من الإعراب»[85]، واحتجوا على ذلك بأن أسماء الشرط

---

(79) الخصائص ح/ 3 ص222.

(80) مغني اللبيب ص669.

(81) ينظر الهمع ح/ 4 ص219، 220.

(82) سورة النساء، الآية: 77.

(83) سورة البقرة، الآية: 144.

(84) التبيان ح/ 1 ص125.

(85) ينظر حاشية الأمير ح/ 1 ص87 وشرح الكافية ح/ 2 ص110 والمنصف ح/ 1 ص203، 204.

غير الظرفية يعمل فيها فعل الشرط لا الجواب نحو قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[86]، وبأن الظرف سلط عليه عاملان، والأقرب أولى به، وبأن الجزم يقتضي الفعل، والإضافة تقتضي الاسم، وكيف يجمع بين الفعلية والاسمية في لفظ واحد»[87].

وعندي أن ما احتجوا به لا يثبت أمام التمحيص الدقيق؛ ذلك أن قياس أسماء الشرط غير الظرفية على أسماء الشرط الظرفية قياس تنقصه الدقة، فأسماء الشرط غير الظرفية لم يقل أحد من النحويين إنها تضاف إلى الجمل، وجملها كالصلة لها، ولهذا ليس لها محل من الإعراب... كما سنرى في موضع لاحق.

وأما أسماء الشرط الظرفية فإن بعضها عند كثير من النحويين يصلح للإضافة إلى الجملة، كما رأينا في إذا ولمَّا، وبالإضافة يزول إبهامها.

وأما أن الظرف مسلط عليه عاملان، والأقرب أولى به قياساً على التنازع عند البصريين، فهذا لا يصح؛ لأن المعنى في نحو: «متى جئتني أكرمتك» هو أكرمك حين تجيئني، ولو سلطت فعل الشرط على الظرف لظهر فساد في المعنى كما يتضح من هذا التركيب (جئتني متى أكرمتك) لأن المعمول ـ كما بينا في موضع سابق ـ يتخيل تأخيره، وإن جاء مقدماً، وأما ما زعم من تداخل بين الاسمية والفعلية فالاسمية تقتضي الإضافة والفعلية تقتضي الجزم، فإنه لا تداخل، لأن الإضافة تكون لمضمون الجملة، وأما الجزم فيكون للفعل، ولهذا لو قلت: متى تجتهد تنجح، فإن الفعل تجتهد يكون مجزوماً بمتى، والجملة من الفعل والفاعل تكون في محل جر مضافة إلى متى، وكأنه قال تنجح متى اجتهادك حاصل.

---

(86) سورة الإسراء، الآية: 110.

(87) مغني اللبيب ص127، 128 والمنصف ح/1 ص204 وحاشية الدسوقي ح/1 ص203، وحاشية الأمير ح/1 ص89.

وهكذا فإن أسلوب الشرط الظرفي استناداً إلى ما ارتضيناه من آراء المتقدمين انطلق من جملة نواة إخبارية ليستقر على هذا النحو، بعد أن قرر مستعمل اللغة تعليق حدث بحدث، أو جعل أمر يترتب على أمر آخر، وعلى هذا يمكن تحليل هذا الأسلوب حسب نظرية تشوسكي[88]، في مرحلتها الثالثة، على النحو التالي:

ـ إذا اجتهدت تنجح

ـ لما تجتهد تنجح ظروف زمانية

ـ متى تجتهد تنجح

ـ أيان تجتهد تنجح

ـ أينما تذهب يكن النجاح حليفك

ـ حيثما تذهب يكن النجاح حليفك ظروف مكانية

ـ أنى تذهب يكن النجاح حليفك

التراكيب السابقة ليس لنا في تحليلها إلا إرجاعها إلى الإخبار المحض، فنقول إنه انطلق من جملة نواة تتكون من ركن إسنادي + ركن تكملة وذلك كما يلي:

1 ـ إذا اجتهدت تنجح

2 ـ تنجح إذا اجتهدت

الجملتان تشتركان في معنى واحد نستدل من ذلك على وجود علاقة تحويلية ـ الجملة (1) متحولة من الجملة (2)، وقد تم تحويلها بنقل الركن الاسمي (الظرف) (إذا) العائد إلى ركن التكملة، ثم نقل الركن الإسنادي (اجتهدت)، ويمكن تمثيل اشتقاق الجملة (1) من الجملة (2) بالشكلين التاليين:

---

(88) ينظر R.lees 1957 Review of Syntactic Structures. Linguistics No. p33.

Chomsky Aspects p64-148. و378 Chosky Syntactic structure p13-27.

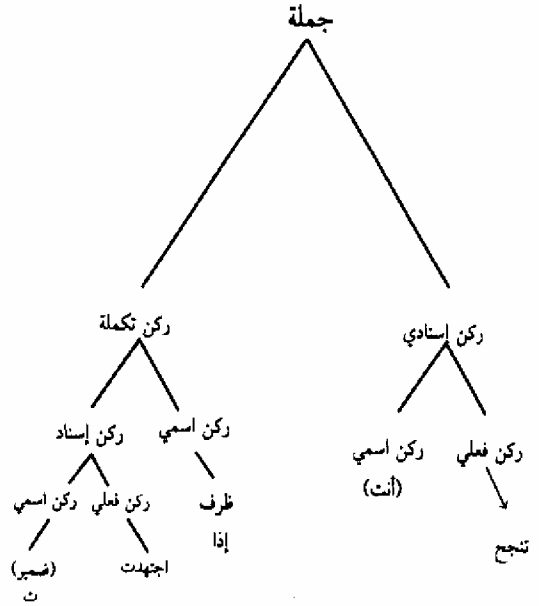

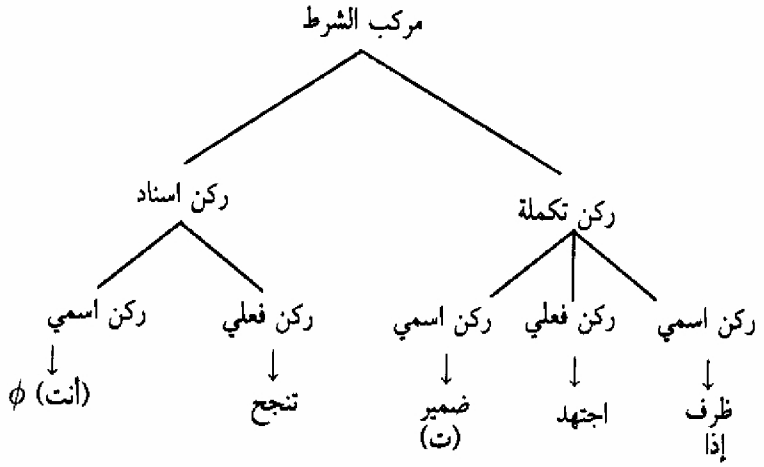

ϕ هذا الرمز يشير إلى الحذف أو عدم الوجود

1 ـ لما تجتهد تنجح

2 ـ تنجح لما تجتهد

الجملتان كذلك تشتركان في معنى واحد، الجملة (1) متحولة من الجملة (2) وقد تم تحويلها (بنقل الركن الاسمي (الظرف) (لمّا) العائد إلى ركن التكملة، ثم نقل الركن الإسنادي (تجتهد) ويمكن توضيح ذلك بالشكلين التاليين:

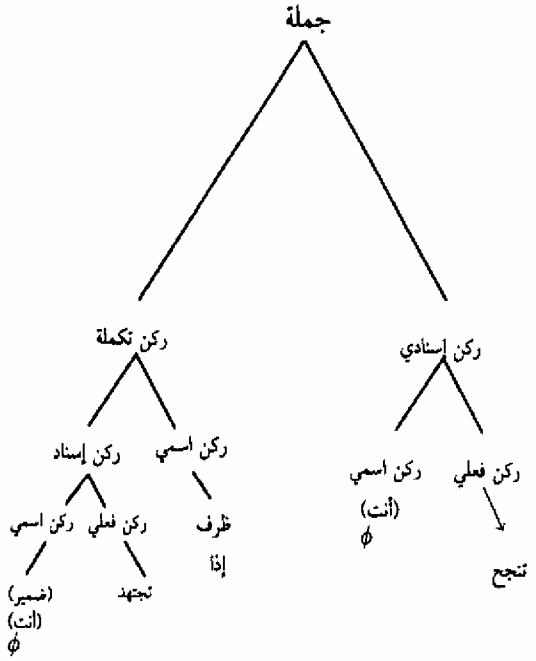

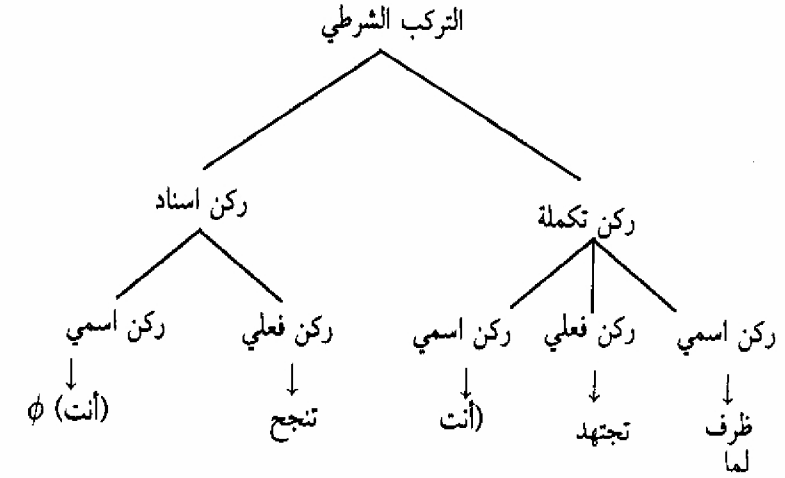

ϕ هذا الرمز يشير إلى الحذف أو عدم الوجود

الجملتان النواة اللتان انطلق منهما المركبان الشرطيان:

- إذا اجتهدت تنجح
- لما تجتهد تنجح

هما:

ـ تنجح إذا اجتهدت

ـ تنجح لما تجتهد

وجعل الظرف تحت ركن التكملة يتفق مع ما قرره علماء العربية من أن ما زاد على المسند والمسند إليه فهو فضلة، أي تكملة للجملة وليس ركناً أساسياً فيها.

وعلى هذا تستطيع تحليل ما تبقى من تراكيب مثل:

1 ـ متى تجتهد تنجح

2 ـ تنجح متى تجتهد أي حين تجتهد

وتحلل على النحو السابق:

1 ـ أيان تجتهد تنجح

2 ـ تنجح أيان تجتهد أي حين تجتهد

1 ـ أينما تذهب يكن التوفيق حليفك

2 ـ يكون التوفيق حليفك أينما تذهب

1 ـ حيثما تذهب يكن التوفيق حليفك.

2 ـ يكون التوفيق حليفك حيثما تذهب.

1 ـ أنى تذهب يكن التوفيق حليفك.

2 ـ يكون التوفيق حليفك أنى تذهب.

وهذا يستند كما بينا إلى أن أداة الشرط الظرفية تكون الجملة بعدها (جملة الشرط مضافة إليها). ويمكننا بيان ذلك بطريقة أخرى:

البنية السطحية لأسلوب الشرط Sure Face structure

ـ أينما تذهب يكن التوفيق حليفك.

يعود إلى بنية عميقة هي إخبار محض وهي:

ـ يكون التوفيق حليفك أينما تذهب أنت.

وباستخدام الرموز تعطي كل عنصر لغوي رمزاً خاصاً به وذلك كما يلي:

يكون (أ) التوفيق (ب) حليفك (ج) أينما (د) تذهب (هـ): (أنت) المستتر في تذهب (و) إذا التركيب العميق لأسلوب الشرط هو:

أ + ب + ج + د + هـ + (و) وباستخدام قوانين التحويل يصير التركيب في البنية السطحية كما يلي:

د + هـ + و + أ + ب + ج

وباستخدام قانون الحذف دون تعويض يصبح التركيب د + هـ + ϕ + أ + ب + ح.

ـ أينما تذهب يكن التوفيق حليفك.

ويمكن استخدام طريقة أخرى يكون فيها المضاف إليه جزءاً من المضاف، وبهذا تعطي لأينما وما أضيف إليها رمزاً واحداً هو (د) ويكون ما بعدها تابعاً لها، وذلك كما يلي د+ ($د^1$ + $د^2$ + $د^3$) + أ + ب + ح.

$د^1$ يمثل الأداة أو الظرف و$د^2$ يمثل الفعل و$د^3$ يمثل الضمير أنت. ولما كان هذا الضمير محذوفاً يمكننا أن نُحلّ محله هذا الرمز ϕ ونعيد كتابة الرمز كما يلي:

د + ($د^1$ + $د^2 \phi$) + أ + ب + ح.

ـ أينما تذهب يكن التوفيق حليفك.

ومثل هذا التحليل يمكن أن يتبع في سائر أسلوب الشرط الظرفي أو المركب الظرفي.

2 ـ أسلوب الشرط غير الظرفي:

وهو ما كانت أداته غير ظرف، وينقسم إلى قسمين قسم تكون أداته عاملة في الشرط والجواب وهو ما سنتناوله بالتحليل، وقسم ليس كذلك وهو ما كانت أداته لو ولولا ولوما.

وأما القسم الذي تكون أداته عاملة في الشرط والجواب فأكثر النحويين، إن لم يكونوا جميعهم، لم ينكروا أن العامل في الأداة الجواب، بل إنه يكاد

يكون هناك إجماع على أن العامل في تلك الأداة إذا كانت اسماً هو فعل الشرط، ولما كان كثير من هذه الأدوات يستعمل أسماء موصولة ويستعمل في الشرط فإنه، بأدنى تأمل، يمكننا القول إن هذا الأسلوب يعود إلى ما تستخدم فيه أداته اسماً موصولاً، لأن ذلك التركيب كان بسيطاً، ثم لما أراد المتكلم أن يعلق أمراً بأمر عمد إلى ذلك التركيب وكون منه تركيباً مركباً، كما يتضح فيما يلي:

ـ من يذاكر ينجح	أصلها	ينجح من يذاكر
ـ ما تقرأ أقرأ	أصلها	اقرأ ما تقرأ
ـ أي كتاب تقرأه اقرأه	أصلها	أقرأ أي كتاب تقرأه

وباستخدام الطرق المستخدمة في النظرية التحويلية يمكننا تحليل هذا الأسلوب على النحو التالي:

1 ـ من يذاكر ينجح.

2 ـ ينجح من يذاكر.

الجملتان تشتركان في معنى واحد، وهذا يدل على أن هناك علاقة تحويلية (1) متحولة من (2) وقد تم تحويلها بنقل الركن الاسمي (من) العائد إلى ركن الاستناد، ثم نقل ركن الاستناد (يذاكر) ويمكن تمثيل اشتقاق الجملة (1) من الجملة (2) بالشكلين التاليين:

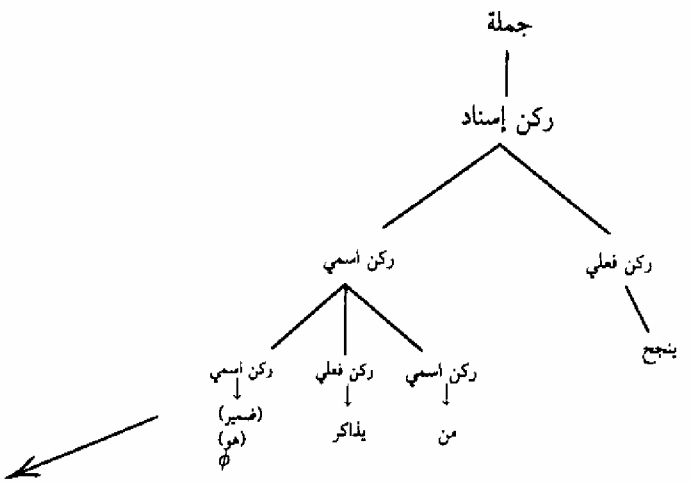

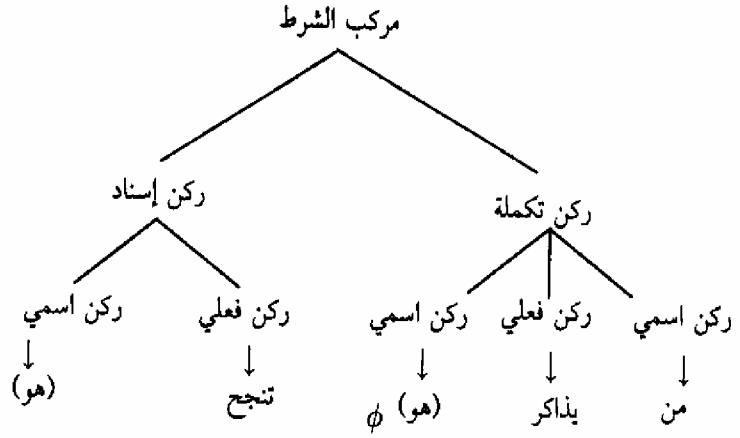

ويمكن تحليل ما تبقى من أساليب الشرط على هذا النحو، أما ما كانت أداته إن أو إذما فإن تحليله يحمل على تحليل أسلوب الشرط الظرفي، وذلك استناداً إلى ما قرره اللغويون من أن إذا وإن تدلان على معنى واحد غير أن (إذا) تستعمل في المقطوع بحدوثه وإن تستعمل في المشكوك بحدوثه[89].

فلو قلت:

إن تذاكر تنجح فإنك تشك في واحد من الأمرين؛ إما أن يكون الشك واقعاً على المذاكرة؛ لأن من تخاطبه ليس أهلاً لها، وإما أن يكون واقعاً على النجاح لأن من يقوم بالتقويم ليس أهلاً له، أما إذا قلت إذا ذاكرت تنجح، فإنك متأكد كل التأكد أنه إذا حصلت مذاكرة فإن النجاح سيكون حليفك، هذا طبعاً إذا قدر الله ذلك.

وأما إذما فهي عند بعض اللغويين ظرف[90] وعلى هذا فلا فرق بينها وبين (إذا)، ويمكن أن يحلل مركبها كما حلل مركب إذا.

نخلص مما تقدم إلى أن أسلوب الشرط الظرفي وغير الظرفي يعود إلى جملة نواة وهي في الأصل إخبار محض كانت فيه الأداة في الظرفي (ظرفاً)

---

(89) ينظر الإيضاح ص67.

(90) ينظر مغني اللبيب ص120 والذين قالوا بظرفيتها المبرد وابن السراج والفارسي.

فحسب، وهو ما يعرف في النظرية التحويلية البنية العميقة Deep Structure، وكانت في غير الظرفي اسماً موصولاً، وأما ما كانت أداته حرفاً (إن وإذما) فإنه يعود إلى الظرفي بحكم التشابه في الاستعمال بينهما.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً العربية:

1 ـ **القرآن الكريم**، رواية قالون عن نافع.

2 ـ **الأشباه والنظائر**، للسيوطي حيدر أباد 1360هـ.

3 ـ **الأصول في النحو** لأبي بكر محمد بن السراج بتحقيق عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة الطبعة الثانية 1408هـ بيروت.

4 ـ **إعراب الجمل وأشباه الجمل**، د. فخر الدين قباوة دار الأوزاعي الطبعة الرابعة 1406هـ بيروت.

5 ـ **أوضح المسالك**، لابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر الطبعة السادسة 1394هـ القاهرة.

6 ـ **الإيضاح**، الخطيب القزويني، تحقيق لجنة من علماء الأزهر، مكتبة المثنى بغداد. دون تاريخ.

7 ـ **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية 1411هـ بيروت.

8 ـ **التبيان في إعراب القرآن**، لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البيجاوي، دار الشام للتراث بيروت بدون تاريخ.

9 ـ **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب الطبعة الثانية 1403هـ بيروت.

10 ـ **ديوان جميل** بن معمر، القاهرة بدون تاريخ.

11 ـ **ديوان كثير** عزة، بيروت 1971.

12 ـ **شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك**، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية لبنان طبعة 1409هـ.

13 ـ **شرح ديوان جرير جمع وشرح محمد الصاوي**، مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ.

14 ـ **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتاب سنة 1363هـ الدار القومية للطباعة والنشر 1384هـ.

15 ـ **شرح ديوان المتنبي**، مراجعة لجنة من الأدباء، منشورات مكتبة الحياة بيروت 1968.

16 ـ **شرح الرَّضِيّ على الكافية**، رضيّ الدين الأسترآبادي، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس 1398هـ بنغازي.

17 ـ **شرح كتاب الحماسة**، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسي تحقيق د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي الطبعة الأولى دون تاريخ.

18 ـ **شرح المفصل**، لابن يعيش عالم الكتب القاهرة بدون تاريخ.

19 ـ **في النحو العربي**، نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي ط 1406هـ.

20 ـ **الكتاب** لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر 1385هـ.

21 ـ **الكشاف** الزمخشري 1354هـ القاهرة.

22 ـ **مدخل إلى دراسة الجملة العربية**، د. محمد محمود نحلة، دار النهضة العربية بيروت 1408هـ.

23 ـ **المقتضب ـ أبو العباس المبرد ـ**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت.

24 ـ **مغني اللبيب**، لابن هشام تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر الطبعة السادسة 1985.

25 ـ **مغني اللبيب**، بحاشية الأمير 1372هـ القاهرة.

26 ـ **مغني اللبيب**، بحاشية الدسوقي 1358هـ القاهرة.

27 ـ **من أسرار اللغة**، د. إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة 1987 القاهرة.

28 ـ همع الهوامع، في شرح جمع الجوامع ـ السيوطي تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية 1400هـ الكويت.

29 ـ وصف اللغة العربية دلاليا، د. محمد محمد يونس، منشورات جامعة الفاتح 1993 طرابلس.

ثانياً: المراجع الإنجليزية:

1 - Aspacts of the theory of synax, N.Chomsky sixteenth printing 1990 USA.

2 - A Dictionary of Linguistics and phonetics D. crystal third Edition Basil Balck Well Great Britain.

3 - Language. L. Blomfield, Halt. Rinehart winston.

4 - Review of syntactic structure in linguistics No 33 1957.

5 - Syntactic structure. N. chomsky The hague 1957.

6 - The philosophy of grammar. London 1924.

7 - The structure of English. New York 1952.